وليد شميط

«لبنان في الدوامة»

ما هي طبيعة الصراع الدائر في لبنان منذ نيسان ١٩٧٥ ؟ لماذا يتقاتل اللبنانيون ؟

ما هي الاوضاع الاجتماعية والسياسية التي ادت الى اشتعال الحرب ؟ وماذا عن موقف القوى المتحاربة ؟

الفيلم التسجيلي « لبنان في الدوامة » ـ ١٦ ملم ، ٧٥ دقيقة ـ لجوسلين صعب ـ لبنانية ـ ويورك ستوكلين ـ فرنسي ـ ، يطرح هذه الاسئلة ويحاول الاجابة عليها .

رغم مرور اكثر من سنة على الحرب التي لا تزال دائرة في لبنان، لم ينجز اي شريط محلي باستثناء « لبنان في الدوامة » يحمل هذا الطموح ويطرح هذه الاسئلة ، وان كان ثمة مشاريع افلام كثيرة لم تر النور بعد ، والآف الامتار من الاشرطة التي صورت ولم تتحول الى افلام بعد . وكان قد جرى تصوير ـ لبنان في الدوامة ـ خلال الفترة ما بين اول آب و٨ ايلول ١٩٧٥ ، اي بعد اربعة اشهر فقط من بداية الحرب ، لحساب التلفزيون الفرنسي الذي رفض عرضه الا بعد حذف مقاطع منه مما حمل صعب وستوكلين على الاكتفاء بعرضه منذ عدة اشهر في احدى صالات السينما الباريسية حيث استقبلته الصحافة بكثير من الاهتمام والترحيب .

● القضية الاجتماعية هي الاهم

لم يأت ـ لبنان في الدوامة ـ باجابات جاهزة على الاسئلة التي طرحها . وهو لم ينطلق من تحليل مسبق لمعطيات وتناقضات الواقع الذي يتعامل معه . انما هو اراد ان يكون شهادة وملفا موضوعيا ، بالمعنى الليبرالي للموضوعية ، وبالتالي التعامل مع اطراف الصراع من زاوية تريد ان تكون حيادية . ومن هنا فان الفيلم لا يتبنى طروحات اليمين الانعزالي ولا هو في الوقت نفسه يدافع عن موقف الحركة الوطنية ، وان كانت محصلة الفيلم تدين المشروع الانعزالي وتتفق مع طرح الحركة الوطنية للقضية الاجتماعية التي اعتبرها الفيلم انها الاهم من بين الاسباب المحلية والخارجية التي ادت الى تفجير الصراع، مشددا على ان التركيبة الاجتماعية اللبنانية والنظام السياسي القائم هما في اساس الانفجار وسببه الرئيسي . وبالتالي فان الصراع ليس صراعا بين المسيحيين والمسلمين وان كان اتخذ في بعض جوانبه طابعا طائفيا ، ولا هو صراع بين اللبنانيين والفلسطينيين ، وان كان تواجد المقاومة الفلسطينية على ارض لبنان عجل في كشف التناقضات الداخلية في تفجيرها . ولقد رفض اليمين اللبناني هذا الطرح واتهم جوسلين صعب ، وهي مارونية ، بخيانة ـ الطائفة والوطن ـ . وقد تعرضت اثناء تصوير الفيلم للضرب والاهانة في احد مخيمات تدريب الكتائبيين في ميروبا .

يبدأ الفيلم بطرح السؤال : لماذا حمل المسيحيون السلاح وبوجه من ؟ ويعطي الكلمة لعدد من قادة الاحزاب والميليشيات الانعزالية: بيار الجميل ، شربل قسيس ، شاكر ابو سليمان ، هنري صفير ، جميعهم يردون ، بتعابير مختلفة ومتشابهة معا ، ما يطرحه اليمين من اسباب حمله للسلاح : الدفاع عن المسيحيين وعن ـ الصيغة اللبنانية ـ وعن النظام وعن لبنان من خطر المقاومة الفلسطينية وتجاوزاتها ومن ـ اليسار الدولي ـ ومؤمراته ، ويلاحظ الفيلم كيف ان عملية « الدفاع هذه اتخذت شكل حرب صليبية جديدة وادت الى قيام الميليشيات المسلحة » .

● اقطاعية وعشائرية وفوضى

هذه هي اسباب الصراع ؟ جوسلين صعب ويورك ستوكلين يذهبان الى ـ الفريق الآخر ـ يعطيان الكلمة لكمال جنبلاط وفواز طرابلسي وعبدالمجيد الرافعي وفاروق المقدم وسمير فرنجية وغيرهم . المعركة هنا تأخذ طابعا آخر . انها ضد تقسيم لبنان والمحافظة على عروبته والدفاع عن حق المقاومة في التواجد على ارضه ، وهي ايضا لاصلاح النظام السياسي القائم على الطائفية والاقطاعية والعشائرية والفوضى الاقتصادية ، والذي لم يعد يتفق مع معطيات الواقع الراهن وتغيراته الاجتماعية والاقتصادية والديموقراطية ، والذي يكرس جملة امتيازات لفئة من اللبنانيين على حساب الاقلية ويعمق من الهوة القائمة بين طبقات الشعب ، ويجعل من لبنان تجمعا للطوائف وليس وطنا بالمعنى الحقيقي ، ولتوضيح طبيعة هذا الصراع السياسي وتقديم صورة حية يتجول الفيلم في عدد من المناطق ويعطي الكلمة لمقاتلين يتحدثون عن الاسباب التي جعلتهم يحملون السلاح ولمواطنين ينتمون الى مختلف طبقات الشعب .

● حفلات الشيخ .. ومآسي الجنوبيين !

نرى النائب والوزير السابق الشيخ خليل الخوري في حفلة اجتماعية صاخبة في بيته تضم بعض ـ علية القوم ـ يتحدث عن ـ هموم النظام وواجباته ـ ، ونتابع بدهشة كلام صحفي يميني يحكي بصفاقة وغرور وادعاء عن الاسلحة الحقيقية والثقيلة ، التي يملكها ـ ليتخلص من الفلسطينيين ـ بينما هو يلعب التنس في فندق السان جورج ، ثم ينقلنا الفيلم الى الجنوب لنرى مزارعي التبغ وصيادي السمك ونسمعهم يشرحون اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وما يعانونه من السلطة والاقطاع والمحتكرين ، ونرى الطبيب الشيوعي احمد مراد الذي كان قد اختطفه العدو الصهيوني ، يتحدث عن اهمال السلطة للجنوب وتركها المنطقة تحت رحمة التخلف والحرمان والاعتداءات الاسرائيلية ، الامر الذي زاد من مشاكل الجنوبيين وحملهم على النزوح من قراهم ومنطقتهم الى العاصمة ومن الجنوب ننتقل الى البقاع وبالتحديد الى الهرمل لنكشف وجها آخر من وجوه الازمة الاجتماعية وهو الوجه العشائري ، الامام الصدر يحاول حل خلاف بين عشيرتين حول اقتسام مياه الري . وفي الوقت نفسه تكشف اهمال الدولة بل غيابها الكامل عن تأمين سبل الحياة المعقولة للشعب الامر الذي جعل معظم شباب المنطقة ينزحون الى العاصمة ثم ينقل الفيلم

صورة عن ـ حزام الؤس ـ الذي يحيط ببيروت والذي يضم النازحين والفقراء من الجنوب والبقاع ومختلف المناطق اللبنانية . وبيروت التي يحيطها ـ حزام الؤس ـ هي ايضا شارع الحمراء والفنادق الضخمة والملاهي الليلية والثروات الفاحشة وحفلات ـ المجتمع المخملي ـ !

● **الفيلم .. ومهمات السينمائيين التقدميين**

هذه هي فقط اسباب الصراع في لبنان ؟

ان الفيلم في تاكيده على ـ لبنانية ـ الازمة ، أي اسبابها الداخلية الاجتماعية ، يتجنب الاشارة مباشرة الى الجانب الفلسطيني فيها وبالتالي يهمل ربطها بمخططات الامبريالية الامريكية وحلولها السياسية في المنطقة كما انه لا يشير ايضا الى دور الصهيونية واسرائيل في تفجير الصراع . ومن جهة ثانية ، وفي معرض تقديمه لاسباب الصراع الداخلية ، لا يربط هذه الاسباب بالدور السلبي الذي لعبه الانتداب الفرنسي ، خاصة لجهة منحه فئة من اللبنانيين امتيازات على حساب فئة اخرى ، هذه الامتيازات التي كرسها الميثاق الوطني عام ١٩٤٣ وقام عليها ـ كيان ـ الوطن وجرى بموجبها ربط النظام اشبه بالكتاب المنزل والمقدس الذي لايمس ولا يعدل .

ولعل اهم ما يمكن اخذه على الفيلم هو عدم توضيحه طبيعة التغيرات التي حصلت في لبنان منذ ١٩٤٣ والتي زادت من التناقضات بين الطوائف عن اعطاء حلول لها ، وعجز النظام السياسي الدقيق بين الطوائف عن اعطاء حلول لها ، وعجز النظام السياسي القائم عن ايجاد مخرج لازمته حياتها . ولكن هل المطلوب من فيلم واحد انجز في ظروف صعبة وبهدف اعلامي مباشر ، واريد منه ان يكون مجرد ملف عن جانب واحد من جوانب الازمة ، ان يطرح كل المسائل المعقدة والمتشعبة والتي تفترض تحليلا سياسيا على درجة كبيرة من العمق والوعي ! ان هذه مهمة تنتظر ان يتصدى لها السينمائيون في لبنان . يكفي جوسلين صعب ويورك ستوكلين ، انهما قاما بخطوة اولية في هذا المجال . وهي خطوة مهمة يجب ان تكون موضع تقدير واهتمام .

« الاخبار البيروتية »

صدر حديثا :

أعلنت عليك الحب

بقلم

غادة السمان

في هذا الكتاب ، تتابع غادة السمان صعودها المدهش ككاتبة قصة قصيرة ، ورواية ، وخواطر شعرية اعتبرها بعض النقاد تجديدا للون رائع من الادب العربي عرفناه في « طوق الحمامة » لابن حزم وفي « مصارع العشاق » و « أخبار المحبين » .

نموذج آخر مبدع لادب البوح العاطفي الرفيع .

منشورات دار الآداب

سعدي علي السند

لبيروت عذاب .. ولنا عذاب

« ١ »

علمتنا الشوارع : ان الهوى قاتل ،
والطريق الذي ما احتوته المحبة لا خير فيه ،
ولا خير في عاشق عذبته الجراح .. ويبكي
علمتنا الشوارع :
ان الدم الحار زنبقة ورصاصة ..!!
فاحتوتنا ضلوع النضال .. وقلنا : البقية فينا
وبيروت صابرة ،
والعيون الجميلة فرقها العاذلون ،
وهذا اوان الحنان ..
كل عشق له غربة .. ولبيروت في عشقها غربتان

« ٢ »

ضيعتنا المواعيد والكلمات التي لم تقم
وادعاءات من وعدوا الليل بالحب ،
لكنهم في الصباح نسوا حبهم ..
ودمشق الجميلة تدرك : ان الهوى قاتل
والجراح التي في الصدور ضماداتها البندقية !!
واحدا
واحدا
علمتنا الشوارع : ان المحبة أقوى من الجوع ،
ان المحبة يعرفها الطيبون ،
وسر محبتنا البندقية ..
آه يا وطنا يتنافس في حبه المخلصون
ويحلم في حبه الشاردون
ويعرف : كيف تكون القلوب ، وكيف تكون العيون

« ٣ »

سيدي أيها الوطن العربي الكبير
سيدي ايها الوطن المستجير
غدنا واحد ..
وهوانا الذي سره البندقية والامل الصامد ..
واحد ..
غير ان الاحبة يحترفون هوى ـ لا يطاق ـ غريبا ،
ففرقنا الحب عن اهلنا وتباطأ فينا المسير ،
وكان الدم الحار نارا ،
وكان الهوى الحار جمرا ،
سيدي أيها الوطن العربي الكبير
سيدي أيها الوطن المستجير
ان احلامنا واحدة ..
ان احلامنا واحدة ..

ملحق الجمهورية البغدادية
١٤ آب ١٩٧٦